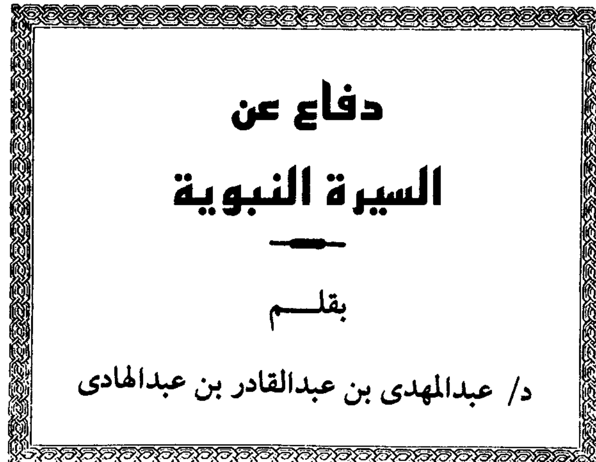
ثالثا - الحديث وعلومه



دفاع عن السيرة النبوية

بقلم

د/ عبدالمهدى بن عبدالقادر بن عبدالهادى

الباحث في كلمات

الاسم : د. عبدالمهدى بن عبدالقادر بن عبدالهادى

تاريخ ومكان الميلاد: ١٩٤٩م - الزقازيق - مصر.

المؤهل العلمى: الدكتوراه فى الحديث - كلية أصول الدين - جامعة الأزهر عام ١٩٧٨م.

العمل الحالى: أستاذ الحديث المساعد بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر.

أهم الأبحاث والمؤلفات: * الحافظ السخاوى وجهوده فى علم الحديث.
* تحقيق وشرح رياض الصالحين.
* تحقيق كتاب عمدة القارىء والسامع.
* تحقيق مسند ابن الجعد.
* طرق التخريج ودراسة الأسانيد.

تقديـــم

مكانة السيرة النبوية.
حِيَلُ أعداء الإسلام فى تشويه السيرة النبوية.

الحمـد لله رب العـالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد.

فان سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيرة المعصوم الذى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة، إنها سيرة من لم يقع منه الا ما يجعله فى قمة السمو الخلقى، والكمال الإنسانى. فرسمت للبشرية أفضل صورة يمكن أن يسير عليها بشر. لقد عرّف البشرية العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم فى توحيد الله سبحانه وتعالى وطاعته.

وعرّف البشرية أفضل السبل فى علاقاتها ببعضها، فعرّفها علاقة الانسان بنفسه، وعلاقته بأقاربه، وعلاقته بزوجته، وعلاقته ببنى جنسه، وعرفها علاقة المجتمعات ببعضها.

وعرف الانسانية منهجها فى الحياة، فى الطعام والشراب، فى النوم واليقظة، فى العمل والراحة، فى كسب المال وإنفاقه، فى الأسفار والإقامة وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك أعطى البشرية مفاتيح السعادة التامة، ورسم لهم بسيرته وسنّته طريق الخير والاستقامة.

ولقد أدرك معاصروه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك، ففهم الصحابة هذا المعنى كاملا، وأنه رسول من الله يوحى اليه ربُّه دينا يسعد البشرية فى كل نواحى حياتها، ويُرْضِـى عنها ربَّها، لقد أدركوا أن السعادة كل السعادة فى اتباعه فاقتدوا به صلى الله عليه وسلم وحرصوا على معرفة كل ما كان من شأنه، فكانت سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثهم، وأفعالُه وأقوالُه شواغل مجالسهم واجتماعاتهم.

واتبع الخلفُ السلفَ فى ذلك، فتتابعت الأجيال أحرص ما تكون على معرفة كل ما كان منه صلى الله عليه وسلم، يتعلمون، ويعملون، ويُعَلِّمون، فكانت الأمة قوية عزيزة، لها عقيدتها الخلاقة، وشريعتها السليمة القويمة، وهم يحرصون على سلامة دينهم، وامتثال ما فيه.

وأدرك أعداء الإسلام سبب عزة هذه الأمة، وأنها مادامت مقتدية برسولها فانها ستظل قوية عزيزة، فراحوا يضعون الخطط لإبعاد هذه الأمة عن مصادر قوتها، عن منهج نبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما كان عليه صلى الله عليه وسلم وصحابته. وتنوعت حِيَلُهم فى ذلك وتعددت، ما بين إرساليّات تبشيرية، وهيئات تعليمية معادية للإسلام مؤيدة للكفر، وما بين تشكيك المسلمين فى دينهم، وإشاعة الأخلاق الذميمة فى مجتمعاتهم.

وكان مِن حيلهم هذه تشويه تاريخ الإسلام، لاسيما سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخلفائه الراشدين. وتمجيد قادتهم وإظهارهم بمظهر العظماء المصلحين. فكتب بعضهم فى سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فزوّر فى كتابته وضلّل، وملأ كتابه بالأكاذيب والأباطيل. خادعا القارىء بأنه مؤلِّف يتبّع المنهج العلمي، وأنه يبحث عن الحقيقة، وأنه يحترم العقل وينصب منه حكما، الى غير ذلك من العبارات البرّاقة الخدّاعة، وهم يعلمون أنهم أكثر الناس مخالفة لهذا الذى يدعون، فهل توافرت فيهم شروط من يكتب فى سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟

وهل قرأوا سيرته وعايشوا منهجه ومسلكه كما كتب ذلك أئمة الإسلام؟

وهل تجرّدوا فعلا للحقيقة؟

وهل يصلح العقل حكما فى دائرة حياة المرسلين !! وأى حقيقة تلك التى يريدونها؟ أضاعت الحقيقة فتحتاج لبحثهم؟ إن كل حقائق سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وعاها أصحابه ودوِّنت فى بطون الكتب، فلا تحتاج لبحث باحث عنها، وانما كل البحث فى استيعابها واستخراج العِبرَ منها، وتقريبها لفهم الناس. إلا أنه اتضح لهم أن هذا النوع من التأليف لا يشيع فى أوساط المسلمين، فهو يؤثر على غير المسلم، أما المسلم فكثرة الباطل فى الكتاب تجعله لا يقبله ولا يُسلِّم به، فآثروا طريقة دس السم

فى العسل، ومن هنا ا تجهوا اتجاهات أخرى منها: -

أ - أن يكتبوا فى سيرته - صلى الله عليه وسلم - كتابة تشتمل على الكثير من الحقائق والقليل من التزوير، فيكتفون بالتزوير فى بعض المواطن فقط ، كى لا ينكشف أمرهم، ويترك المسلم كتبهم.

ب - أن يكتبوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أنه عظيم وزعيم ومصلح، فيصفونه بصفات طيبة لكنهم يجردونه من خاصيّة الرسالة، محتالين بهذه الصفات الطيبة على أن يقبل المسلم كلامهم، ظانًّا أنهم يمدحون، وأنهم منصفون أما غرضهم الأساسى فهو أن يُنْسوا القارىء أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - رسول من عند الله، اصطفاه الله وأرسله للعالمين.

جـ - أن يكتبوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع آخرين ليسوا من المرسلين، فيكتب أحدهم عن عدد من العظماء، ذاكرا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولهم، ثم يذكر معه آخرين من سياسيين واقتصاديين وغير ذلك، مما يجعل غيره - صلى الله عليه وسلم - فى مصافّه، ويبعده فى ذهن القارىء عن دائرة الرسالة والعِصْمة.

وحتى لا يكون تشويه السيرة من جانبهم وحدهم، بل يشاركهم فيه المسلمون أتاحوا الفرص لأبناء المسلمين للدراسة فى جامعاتهم لنيل درجات علمية، ومن العجيب أن تعطي جامعاتُهم أعلى الدرجات العلمية فى علوم الإسلام، فيأخذون أبناء الإسلام ممن لم يدرسوا شيئا عن الإسلام ويقدمون لهم دراسات فى الإسلام يدسون فيها كل ما يريدون من تزوير وتضليل، ومنه تشويه سيرته - صلى الله عليه وسلم - . ولعدم دراية هؤلاء بالإسلام، ولإجلالهم لهذه الدول فى تقدمها الصناعي وقوتها المادية، ولأنها الدولة المنفقة عليهم، لكل ذلك يَقْبلون هذه المعلومات، وإن كانت تختلف مع فِطَرِهم.

ويعود هؤلاء الى مجتمعاتهم الإسلامية، والتى تعترف - ويا للأسف - بهذه المؤهلات فيحتلون مناصب ومراكز فى العملية التعليمية، فينقلون لنا فكر أعداء

الإسلام، ويصبحون امتدادا لهم، بل وأقوى تأثيرا منهم، فانهم من بنى جلدتنا وأهل ديننا.

وهذه الطائفة من المؤلفين تستولى على عقل القارىء بنفس الأسلوب الذى يستولى به أساتذتهم على العقول، فيدَّعون الاعتماد على العقل، والمنهجية، والموضوعية، الى آخر ما يتشدّقون به، وهم يعلمون أنهم كاذبون.

إن أعداء الإسلام لهم منهج متبع فى نواحى حياتهم، فهم يعظِّمون كل ما كان من عندهم، ويُحقِّرون كل ما كان من عند بنى الإسلام، تساعدهم فى ذلك وسائل إعلام قوية، وأساليب دعائية ماكرة. حتى انطلى على بعض أبناء الإسلام حُسْنُ كل ما كان من عندهم، حتى ولو كانوا غير أهل لنتاجه.. فراح هؤلاء يقرأون مؤلفات أعداء الإسلام فى فروع المعرفة الإسلامية ظانين أن هؤلاء أهل التحقيق والتدقيق فترجم بعضهم كتابا أو أكثر فى سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ، واقتبس بعض آخر كثيرا من كتب هؤلاء، فأخذوا أفكارهم وأشاعوها فى كتبهم، ونسوا جميعا أن هؤلاء أعداء للإسلام يعميهم التعصب عن الحقيقة، ويدعوهم الى التشويه والتضليل، وكتاباتهم عن الإسلام كتابة الرجل عن عدوه، فهل ينصف أو يعدل؟ بدهى لا، خاصة أنه ليس بصاحب دين يدعوه الى الحق مهما كان.

لقد كنت أوثر عدم الرد على هؤلاء، معتمدا على أن القارىء يرفض كتبهم بفطرته ومعرفته بدينه ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، الا أن هؤلاء يَكْثُرُون وتعلو أصواتهم وكأنهم يريدون جعل الباطل حقا والمنكر معروفا، لقد وجدتهم يحرصون على الكتابة فى السيرة والسُّنَّة وان كان تخصصهم بعيدا عنهما، والمثقفون يقرأون فلربما دَسَّتْ هذه الكتبُ شيئا من الخطأ فى معلوماتهم، فآثرتُ الرد وضعا للأمور فى نصابها ونصرة للحق وعملا بقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «الدين النصيحة. قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1] ومن النصح لسيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نزيح عنها كل زيف، وأن نكشف كل كذب وافتراء.

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ١/٢٣٧ طبعة الشعب حديث رقم ٨٧.

وفى ردى على هذه الكتب سأذكر بمشيئة الله تعالى من الأدلة ما يتضح معه الحق، وتطمئن به نفس القارئ.

* الرد على كتاب «دراسات فى السيرة النبوية»

ظهر كتاب بعنوان «دراسات فى السيرة النبوية للدكتور/ حسين مؤنس، ومن باب الاهتمام بما يكتب فى سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرصت على قراءته، وأثناء قراءتى له استوقفتنى عدة قضايا[1]، ناقشتُها فى ورقات لنفسى، وقابلنى جماعات من الاخوة الذين قرأوا الكتاب أو بعضه فأبدوا لي بعض ما عندهم على الكتاب، وطلبوا مني الرد عليه، فرأيت أن أجمع ما كتبته وأرتبه ليكون ردا على بعض ما جاء فى الكتاب، إحقاقا للحق، ودفاعا عن سيرته - صلى الله عليه وسلم -، فكانت هذه الردود:

أولا : رؤيا الأنبياء

فى ص ٨٧ سطر ١٥ وص ٩٤ سطر ١٥ - أيضا - أجد فى الكتاب «المنامات يستوى فيها كل الناس، فهى أضغاث أحلام بلا ضابط».

وهذا الكلام يتناقض مع القرآن الكريم ومع السنة النبوية:

أما مع القرآن الكريم فانه يتناقض مع قول الله سبحانه

«فلما بلغ معه السعى قال يابني إني أرى فى المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر به ستجدنى إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنّا كذلك نجزى المحسنين»[2]

ففى هذه الآيات إفادة أن إبراهيم الخليل - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - اعتبر الرؤيا مصدرا من مصادر التكليف، واعتبر إسماعيل - عليه السلام - أن الأمر يجب أن يطاع ولا يقلل من الزامه أنه جاء عن طريق الرؤيا، وربنا سبحانه وتعالى أقرهما على هذا الفهم وقال لإبراهيم «قد صدقت الرؤيا».

(١) لست أريد أن أذكر حكما هنا على الكتاب، وإنما أترك ذلك للقارئ بعد قراءته الردود.

(٢) سورة الصافات آيات ١٠٢ - ١٠٥.

وبهذه الآيات استدل عبيد[1] بن عمير[2] بن قتادة على أن رؤيا الأنبياء وحي ، وذلك فيما أخرجه عنه البخارى[3] قال: إن رؤيا الأنبياء وحي ثم قرأ «إنى أرى فى المنام أنى أذبحك»

أما مع السنة النبوية فانه يتناقض مع : ـ

١ ـ حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ أول ما بديء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح «الحديث»[4] فواضح من هذا الحديث أن رؤياه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كيفية من كيفيات الوحى ، ولا يدخلها ضغث.

والغريب أن حديث عائشة هذا مذكور فى هذا الكتاب[5]، لكن لم يراع معناه.

٢ ـ حديث معاذ بن جبل قال: «ما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى نومه أو يقظته فهو حق»[6].

٣ ـ حديث ابن عباس قال: «رؤيا الأنبياء وحى»[7].

فبعد ظهور هذا ، وأن القرآن الكريم بيّن أن رؤيا الأنبياء ليست كرؤى الناس وانما هى مصدر تكليف، وبينت السنة أن رؤيا الأنبياء وحى، بعد ظهور هذا أترك الحكم للقارىء على القول بأن المنامات يستوى فيها كل الناس فهى أضغاث أحلام بلا ضابط !!

ثانيا: تفسير الرؤيا الصالحة: :

وفى ص ٨١ سطر ١٠ من هذا الكتاب تفسير الرؤيا الصالحة بأنها «رؤى جميلة ينشرح لها الصدر وتطرب لها الروح».

(١) تابعى كبير. (٢) صحابى.

(٣) فى الوضوء باب التخفيف فى الوضوء ١/٢٣٨ فتح البارى طبعة السلفية حديث رقم ١٣٨ ، وأيضا فى الجزء الثانى ص ٣٤٤ حديث رقم ٨٥٩.

(٤) أخرجه البخارى فى بدء الوحى ١/٢٢ حديث رقم ٣.

(٥) ص ٨١.

(٦) أخرجه أحمد ٥/٢٤٥. (٧) أخرجه الحاكم والطبرانى وابن أبى حاتم.

أقول:

١ ـ الرؤيا الصالحة فى الحديث لا تحتاج الى شرح فقد جاء شرحها فى نفس الحديث بقول عائشة ـ رضى الله عنها ـ «فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصباح» وجاء فى رواية أخرى «الرؤيا الصادقة» فهل القارىء بعد هذا فى حاجة إلى بيان؟

٢ ـ تفسير الرؤيا الصالحة بأنها «رؤى جميلة ينشرح لها الصدر وتطرب لها الروح» تفسير لا أسلِّم بصحته فما معنى «تطرب لها الروح»؟ الطرب يدور معناه حول الخفة والغناء واللهو، والمصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يحل له الطرب ولا هو من أهله. ورحم الله ابن المرابط إذ فسر الرؤيا الصالحة بأنها: التى ليست ضغثا ولا من تلبيس الشيطان، ولا فيها ضَرْب مَثَلٍ مُشْكِل[١].

ثالثا: سلام الحجر عليه صلى الله عليه وسلم:

وفى ص ٨٨ سطر ١٤، ص ٩٩ سطر ٩ يَرُدُّ حديثَ سلام الشجر والحجر على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وهذا الرد للحديث مردود، فان كان يدفع حديث ابن اسحاق بأن اسناده ضعيف فماذا يفعل فى حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن» وهو حديث صحيح[٢]؟!

وماذا يفعل فى حديث على بن أبى طالب قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرج فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام عليك يارسول الله[٣].

(١) من فتح البارى ٧١٧/٨.

(٢) أخرجه مسلم فى الفضائل الحديث الثانى ١٣٤/٥ طبع الشعب وأخرجه الترمذى فى المناقب الباب الثالث، وأخرجه الدارمى فى المقدمة الباب الرابع وأخرجه أحمد ٨٩/٥، ٩٥، ١٠٥.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٦٢٠ وصححه ووافقه الذهبى وأخرجه الدارمى فى المقدمة باب ما أكرم الله به

والعجب أن المؤلف يلمز الحديث بضعف إسناده فى حين هو لم يراع هذا الأمر ـ الإسناد ـ فى كتابه، ولو أنه راعى الإسناد لبحث له عن طريق آخر، شأن أهل الدراية بالإسناد، ولو راعى ذلك لطبّقه فى كل الأسانيد التى اعتمد عليها، والكثير منها مليء بالبلايا!!

واذا كان يعلم عن الإسناد فكيف يرد الحديث بهذه الطريقة من أنه مادام كان هناك حجر يسلم عليه إذن لا يمكن أن يخاف من جبريل؟ من يعرف الإسناد لا يرد الحديث بهذه الطريقة. وإنما يرد لمغمز فيه يجعله فى دائرة الواهى أو الموضوع على أن لا يثبت من طريق آخر.

ثم من أين جاء التلازم بأن من سلم عليه الحجر لا يخاف جبريل؟ هذا التلازم باطل، وانما يصح لو أن الذى سلم عليه جبريل، وجاءه فى نفس الصورة التى كان يسلم عليه فيها، أما أن يسلم عليه حجر ويخبره أنه رسول الله فهذا لا يمنع أن ينزعج من جبريل، وبخاصة أنه جاءه هذه المرة فى صورته التى خلق عليها كما تفيده بقية النصوص.

فعن عبدالله بن مسعود قال: رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل فى حلة من رَفْرَفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض[1].

ثالثا: القدوة بالمصطفى صلى الله عليه وسلم :ـ

وفى ص ٦٣ سطر ٩ ينتقد علماء السيرة ثم يقول فى سطر ١٥ : ان اسلوب الرسول سهل ممتنع. وهذا يتنافى مع ما أمرنا به من الاقتداء، فاذا كان أسلوبه صلى الله عليه وسلم ممتنعا فكيف نقتدى به؟ الذى ندين الله به أن أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ميسور، وصدق الله العظيم
«وما جعل عليكم فى الدين من حرج»[2].

= نبيه من ايمان الشجر والبهائم والجن ١/١٩ وقال محققه: أخرجه الترمذى وأخرجه الطبرانى فى الأوسط كذا فى المجمع ٨/٢٦٠ وأخرجه أبونعيم فى الدلائل ٢/٣٣١، ٣٣٢.

(١) أخرجه الترمذى فى التفسير، سورة النجم ٩/١٧١ تحفة الأحوذى حديث رقم ٣٣٣٧ وقال: حسن صحيح.

(٢) سورة الحج: آخر آية ورقمها ٧٨، والمذكور هنا جزء من الآية.

رابعا : بين الأنبياء : -

فى ص ٨٥ سطر ١١ يقول ان موسى ولد نبيا.

وهـذا شيء يخالف القرآن الكريم، فموسى لم يولد نبيا، والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أنه - أى موسى عليه السلام - عاش فى مصر قبل النبوة، وخرج من مصر، وعمل عند الرجل الصالح عشر سنين، فلما سار بأهله بدأت نبوته، وبدأ الوحى على جبل الطور، اقرأ فى ذلك قول الله سبحانه:

«وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى. فلما أتاها نودي ياموسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى»(١)

إلى هذا الوقت ما كان موسى يعلم شيئا عن هذه الأنوار بل انه ظنها نارا، فجاءه الـوحى فى هذا الوقت، فهل يقال إننا لا نعرف رحلة انتقال نبي من البشرية الي النبوة، وهل يقال بعد ذلك إن موسى ولد نبيا؟

رحم الله ابن كثير: إذ يقول فى تفسير هذه الآيات: من ههنا شرع تبارك وتعالى فى ذكر قصة موسى، وكيف كان ابتداء الوحى اليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى الأجل الذى كان بينه وبين صهره فى رعاية الغنم.. الخ(٢).

وقضية بدء الوحي الي موسى تقرؤها فى سورة طه - ومنها الآيات المتقدمة - وفى سورة الشعراء، وفى سورة النمل، وفى سورة القصص، وفى غير هذه السور(٣).

خامسا: رهن درعه صلى الله عليه وسلم

وفى ص ٢١١ سطر ١٩ ينكـر أن يكون صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودي، ينكر هذا بناء على خط عنده يفصل بين ما نقبل وما لا نقبل، ولم يُعَرِّفْنا هذا الخط، ولم يُسْبق إليه !!

(١) سورة طه الآيات ٩ - ١٣.
(٢) تفسير ابن كثير ١٤٣/٣.
(٣) وراجع تفصيل آيات القرآن الحكيم لجول لابوم ص ٨٣ - ١٠١.

وإنكاره رهن الدرع إنكار لحديث صحيح أخرجه البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشترى طعاما من يهودي إلى أجل، ورهنه درعا من حديد»[1] ثم بأى شىء يرد الحديث؟ ! يرد لأن المقاتل لا يستغنى عن درعه؟ ! هذا اذا لم يكن له غيره، والرواية فيها[2] «درعا من حديد» وليس «درعه» فتفيد الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كان عنده أكثر من درع. وهى وإن كانت تفيد ذلك من خلال ألفاظها، فإنه ثبت صراحة أنه صلى الله عليه وسلم كانت له درع يقال لها: السعدية.

ودرع يقال لها: فضة

ودرع يقال لها: ذات الفضول[3]

أو يرد لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش ميسورا؟ أقول: رحم الله الحافظ ابن حجر إذ قال فى شرح هذا الحديث: وفيه ـ أى حديث رهن الدرع ـ ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم من التواضع والزهد فى الدنيا والتقلل منها مع قدرته عليها، والكرم الذى أفضى به إلى عدم الادخار حتى احتاج إلى رهن درعه، والصبر على ضيق العيش والقناعة باليسير[4]. اهـ.

ومجمل القول أنه صلى الله عليه وسلم كان ميسورا لكن هو الذى قال: «أنا أولى المؤمنين من أنفسهم، فمن توفى من المؤمنين فترك دَيْنا فعليّ قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته»[5] وهو الذى قال: مالى وللدنيا، إنما أنا كراكب قال تحت شجرة ثم تركها وانصرف[6].

---

(١) أخرجه البخارى فى البيوع باب شراء النبى صلى الله عليه وسلم بالنسيئة ٣٠٢/٤. رقم ٢٠٦٨، وفى الرهن باب الرهن فى الحضر ١٤٠/٥ وفى غير هذين الموضعين وأخرجه الترمذى والنسائى والدارمى وأحمد.

(٢) أى رواية البخارى السابقة.

(٣) راجع طبقات ابن سعد ٤٨٧/١.

(٤) فتح البارى ١٤١/٥.

(٥) أخرجه البخارى فى الكفالة باب الدين ٤٧٧/٤ رقم ٢٢٩٨ وفى غير هذا الموضع وأخرجه مسلم وغيرهما.

(٦) أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم والضياء عن ابن مسعود. وقد كتبته من حفظى.

فاعراضه صلى الله عليه وسلم عن الدنيا، مع كرمه، مع تحمله أعباء الدعوة كل ذلك كان سببا فى أن رهن درعه.

وفى الحديث تساؤلات أكثر من ذلك تراجع فى كتب الشروح[1].

سادسا : تجريح الصحابة

وفى ص ٢٧٧ سطر ٥ يتشكك فى صدق عمر حينما قال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمت !! والسؤال: متى كان عمر غير صادق؟ وَلِمَ يفعل ذلك عمر، وهو الذى لم يعط الخلافة لابنه من بعده؟

لقد قال عمر ان الرسول لم يمت بناء على اجتهاد عنده، فلقد أدّاه اجتهاده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يموت الا بعد القضاء على المنافقين كما صرح بذلك فى قوله «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين»[2] وفى رواية أخرى «وليبعثنَّه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم»[3].

وفى ص ٢٨٠ سطر ٢ كلام مفاده أن السياسة تفسد الدين والإيمان، وقد كان أبوبكر وعمر سياسيين، لكن كان الإيمان غالبا على السياسة.

وأقول: الذى فى الاسلام خلافة وإمارة وهى من الإسلام.

وفى ص ٢٨٦ سطر ١٤ يركز على أن عويم بن ساعدة، ومعن بن عدي ناديا أبابكر وعمر لأخذ الخلافة، حتى لا يأخذها خزرجي ـ هو سعد بن عبادة ـ لأنهما من الأوس. وأن اختلاف الأنصار هو الذى أتاح لأبى بكر أخذ الخلافة. وأن عمر رد هذا الجميل إذ وقف على قبره لما مات وقال: لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول إنه خير من صاحب هذا القبر، ما نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم راية إلا وعويم تحت ظلها.

---

(١) راجع من ذلك فتح البارى جـ ٥ ص ١٤٠ ـ ١٤٢ وراجع عمدة القارى.

(٢) أخرجه أحمد ٢١٩/٦، ٢٢٠.

(٣) أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة باب قول النبى لو كنت متخذا خليلا ١٩/٧.

وهذا الكلام معترض عليه فى ثلاث نقاط :

الأولى : أن عويما ومعنا لم يناديا أبابكر وعمر، ففى رواية مالك عن الزهري أن هذين الرجلين لم يطلبا البكور إلى السقيفة، وإنما نصحا بالبقاء إلى الانتهاء من تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، وما عند أبى يعلى أصح مما عند الواقدى[2].

الثانية : ليس اختلاف الأنصار هو الذى أعطى الخلافة للصديق وإنما سلّم بها له الأنصار عند سماعهم حديث «الأئمة من قريش»[3] وسماعهم حديث «قريش ولاة هذا الأمر» حتى قال أبوبكر: ولقد علمت ياسعد - يعنى ابن عبادة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد «قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم، فقال له سعد: نحن الوزراء وأنتم الأمراء»[4].

الثالثة : أن مقولة عمر فى شأن عويم ليس أساسها موقفه من الخلافة، وإنما أساسها أنه شهد جميع المشاهد - كما قال عمر نفسه - أى الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومدحه عمر بحرصه على الجهاد، ولم يمدحه بأنه كان ذا موقف فى الخلافة.

وعويم هذا أثنى عليه ربُّنا ومدحه نبيُّنا، فلقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: من الذين قال الله فيهم،

«رجال يحبون أن يتطهروا»[5] ؟

فقال «نعم المرء منهم عويم بن ساعدة»[6] ولو كانت المسألة مسألة مكافأة لأعطاه أبوبكر وعمر الكثير من المال والمناصب، ولم يقع من ذلك شيء.

---

(١) أخرجه أبو يعلى ، كذا فى الفتح ٧/٣٠.
(٢) سيأتى كلام فى هذا.
(٣) أخرجه الحاكم والبيهقى عن على، وأخرجه أحمد والنسائى.
(٤) أخرجه أحمد ١/٥.
(٥) سورة التوبة آية ١٠٨.
(٦) راجع الاصابة ٤/٧٤٦.

وفى ص ٢٧٨ سطر ١٩ يقول : والعباس كان يفكر تفكيرا جاهليا

وفى ص ٢٧٩ سطر ٣ يقول : والعباس إلى ذلك الحين كان جاهلى الفكر والإحساس.

وفى ص ٢٨١ سطر ٧ يتشكك فى سرعة أبى بكر للحضور بعد علمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه حضر يوم الأربعاء . . فى حين هو حضر بعد الوفاة بقليل، وتمت البيعة فى نفس اليوم «الاثنين»[1].

وفى ص ٢٨٥ سطر ٢ يطلق على الصحابة لفظ «قطيع»

وفى ص ٢٨٤ السطر الأخير، وص ٢٨٥ السطر الأول ينتقد أهل السنة بأنهم تكلفوا فى الدفاع عن خلافة أبى بكر وهذا لقلة علمهم بالتاريخ . . ص ٢٨٥.

وفى ص ٦١ ينتقد السلف فيقول «لأن السلف عاطفيون. . . وليس هذا صحيحا أصلا» ولست أدرى ماذا يريد بعد تجريح الصحابة وأهل السنة والسلف؟

سابعا: تغيُّر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وفى ص ٢٧٦ سطر ١٢، وص ٢٨٢ سطر ١٠، وص ٢٨٥ سطر ١٢ إصرار على أن الرسول صلى الله عليه وسلم تغير قبل دفنه، ويبنى هذا على أساس أنه صلى الله عليه وسلم ظل بلا دفن أكثر من ٤٨ ساعة إذ مات يوم الاثنين ودفن فى نهاية الأربعاء، ويرجع السبب فى تأخير الدفن إلى السياسة، وأن الانشغال بالبيعة هو الذى أخر الدفن.

وكل هذا ليس مسلَّما له، بل هو خطأ محض، وذلك لما يلى: ـ

القول بأنه صلى الله عليه وسلم دفن بعد أكثر من ٤٨ ساعة وأن الدفن تم ليلة الخميس يعارضه حديث عائشة رضى الله عنها قالت: توفى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء[2].

---

(١) راجع البداية ٥/٢٧٩ «ذكر اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة» وسيأتى مزيد لذلك إن يسر الله سبحانه وتعالى الاستمرار فى الرد.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٦/١١٠.

وأيضا حديث عائشة: ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل ليلة الأربعاء[1].

ومن عجيب أمر المؤلف انه لما وجد أثرا فى الطبقات الكبرى يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم دفن بعد الوفاة بيوم وليلة[2]، راح يعترض وقال «الأصح يومين وليلتين ونيف»[3] فجعل هذا الأثر أيضا يتعارض مع الحديثين الماضيين وأتساءل معه: أتصحح النص أو ترده؟ ان كنت تصححه فلَمْ تسلك المنهج العلمى فى تصويب نص، وإن كنت ترده فلِمَ استدللت به؟ وشىء آخر ماذا تقول فى الأحاديث التى قبله، والتى تفيد أنه صلى الله عليه وسلم دفن يوم الثلاثاء؟ أليس من الأمانة العلمية دراسة كل ما فى الموضوع؟

إن الأثار التى فى الموضوع منها ما يثبت أنه صلى الله عليه وسلم دفن يوم الثلاثاء، ومنها ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم دفن ليلة الأربعاء، ولا تعارض فمن نظر لبداية اجرءات الدفن، قال يوم الثلاثاء، ومن نظر إلى نفس الدفن قال ليلة الأربعاء.

وعلى هذا ـ أنه صلى الله عليه وسلم دفن ليلة الأربعاء ـ يبطل كل ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم دفن بعد أكثر من ٤٨ ساعة، وأنه تغير، وأن السياسة عطلت الدفن.

ويبطل كذلك قوله: إن أبا بكر عاد من السنح فى ضحى الأربعاء[4] فإن أبا بكر رضى الله عنه عاد فى نفس يوم الوفاة، والسنح على بعد ميل واحد من المدينة فكيف يتأخر كل هذا الوقت، إن القول بتأخره إلى ضحى الأربعاء لا يصح أن يقال؟ بل إنه فى يوم الأثنين يوم الوفاة كان أبوبكر قد أصبح خليفة، فإن البيعة بدأت يوم الاثنين واكتملت يوم الثلاثاء.

---

(١) أحمد ٦/٦٢، ٢٤٢، ٢٧٤.

(٢) هو فى طبقات ابن سعد ٢/٢٧٤.

(٣) ص ٣٠٣.

(٤) قال هذا فى ص ٢٨١.

ورحم الله ابن كثير اذ يقول[1] كان هذا ـ مبايعة أبى بكر ـ فى بقية يوم الاثنين، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس فى المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما.

وأخرج البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفى النبى صلى الله عليه وسلم فتشهد وأبوبكر صامت لا يتكلم قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا ـ يريد بذلك أن يكون آخرهم ـ فإن يك محمد صلى الله عليه وسلم قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به بما هدى الله محمدا صلى الله عليه وسلم، وأن أبابكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين، فإنه أولى الناس بأموركم فتقدموا فبايعوه. وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر[2].

وواضح من حديث أنس هذا أن البيعة تمت فى اليوم الثانى للوفاة وهو يوم الثلاثاء وكان بعض الناس قد بايع قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة فهل يقال إن أبابكر جاء ضحى الأربعاء؟

وفى ص ٢٨٧ السطر الأخير يقول: وعطلت السياسة دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الليل. وهذا خطأ، فالسياسة ـ والتى هى بالتعبير الإسلامى: الخلافة ـ لم تأخذ من وقت الأمة سوى جزء قليل من يوم[3]، وإنما كان الدفن فى نهاية اليوم الثانى لأن اجراءات التجهيز استغرقت وقتا طويلا، فتصور أن الجميع يحرص على أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم والبيت صغير لا يسع أناسا كثيرين ثم إن الدفن سيكون فى الموضع الذى قُبض فيه، ولو كان فى غيره لأعد أثناء الصلاة عليه

(١) البداية ٥/٢٧٩. باب ذكر اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة.

(٢) أخرجه البخارى فى الاحكام باب الاستخلاف ١٣/٢٠٦ رقم ٧٢١٩.

(٣) كذا قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٧/٣٢.

صلى الله عليه وسلم، فلم تعطل السياسة شيئا، ولا أثرت أى تأثير فى توقيت دفنه صلى الله عليه وسلم.

وبعـد أن أبـطلت القـول بتأخر دفنه صلى الله عليه وسلم أكثر من ٤٨ ساعة وأبطلت القول بأنه دفن ليلة الخميس، وهما يترتب عليهما القول بالتغير فيكون القول بالتغير باطلا، وأبطلت القول بتأخر أبى بكر إلى ضحى الأربعاء، وأبطلت القول بأن السياسة أخرت الدفن، بعد أن أبطلت كل ذلك، أتساءل: لم الحرص على القول بالتغير؟ ثم ان الكاتب يذهب الى التحلل بدليل قوله ص ٣٠٣ وهذه تفاصيل نذكرها للكثيرين ممن يقولون إن الولى الفلانى ظل على حاله بعد موته لا أدرى كم شهرا... ولهؤلاء نقول: لابد أن أولياءكم هؤلاء خير من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اختصهما الله بهذه الخوارق وفضلهم على نبيه المصطفى ورسوله إلى العالمين اهـ كلامه.

وظاهر من كلامه أنه يريد أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ يتغير فهو لا يبقى على حاله؟ وهذا خطأ صريح - يقع فيه من أخضع المرسلين ومعجزاتهم وكرامتهم لرأيه الشخصى - لأنه يتعارض مع حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون» وهو حديث صحيح بل متواتر، ذكره فى نظم المتناثر[1] ثم نقل عن السيوطى قوله: حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا، لما قام عندنا من الأدلة فى ذلك، وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك. ونقل عن ابن قيم الجوزية أنه نقل عن أبى عبدالله القرطبى قوله: صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس، وفى السماء خصوصا بموسى، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا ردّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا موجودين

(١) هو نظم المتناثر من الحديث المتواتر للشيخ الكتانى، والحديث فيه رقم ١١٥ ص ٨٤، ٨٥.

أحياء، وذلك كالحال فى الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم[1]. وبعد:

فهـذه أمـور[2] أخـذتها على الكتاب المذكور، مع أمور أخرى، لو كتبتها لطال المكتوب، فأكتفى بهذا القدر.

وأسأل الله الكريم دوام وتمام التوفيق.

«وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب..»

تعقيـــب

قول الباحث: «إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع الى أن غيبوا عنابحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء...».

هذا كلام فيه نظر فإن الجزم في مثل هذه الأمور الغيبية يحتاج إلى دليل قاطع. وليس فيما ذكر من الأدلة ما يوجب القطع بل ولا الظن بأن موت الأنبياء هو غيابهم عنا، وإنما فيها الإخبار بحياتهم، ومعلوم أن هذه الحياة ليست الحياة التى كانت ثابتة لهم قبل الانتقال من هذه الدنيا، فلهذه الحياة لوازمها وأحكامها كما أن الحياة البرزخية التى دلّ عليها ما ذكر من النصوص ليست الحياة الأخروية التى تحصل للأنبياء بعد البعث بل هذه أنواع من الحياة مختلفة فى حقائقها وأحكامها وآثارها، ولو كانت الحياة البرزخية هي الحياة التى كانت في الدنيا ـ كما يقتضيه تفسير موت الأنبياء بغيابهم عنا ـ لما صحَّ الإخبار عنهم بالموت وذوق الموت كما فى قوله تعالى:

«إنك ميت وإنهم ميتون»[3]

وقوله سبحانه

«كل نفس ذائقة الموت»[4]

ولما كان بين انتقال الأنبياء عن هذه الحياة ورفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فرق.

---

(١) وراجع كتاب حياة الأنبياء للبيهقى.

(٢) تزيد على العشرين.

(٣) سورة الزمر آية (٣٠).

(٤) سورة آل عمران آية ١٨٥.

وبهـذا يتبين فساد تفسير موت الأنبياء بالغيبة، فإن ذلك مناقض للحس إذ قد شاهد الناس أن الأنبياء يموتون بفراق أرواحهم لأبدانهم كما جاء في صفة موت نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما تبع ذلك من أحكام كغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما ناقض الحس فهو مناقض للعقل. فلا يقول عاقل إن موت أحد إنما هو غيبته، إذ كل أحد يفرق بين الفراق بالموت والفراق بالغيبة كما فُرق في الشريعة بين حكم المتوفى عنها وامرأة المفقود. وبهذا يظهر فساد تشبيه الأنبياء فى حياتهم البرزخية بالملائكة ذلك لأن الملائكة لا يقال إنهم ماتوا أو قد ذاقوا الموت الذى حكم الله به على كل نفس وسينال الملائكة نصيبهم منه «وإعادة الروح إلى الجسد في البرزخ إعادة برزخية لا تزيل عن الميت اسم الموت»[1] فتفسير الموت بالغيبة في قوله تعالى

«إنك ميت وإنهم ميتون»[2]

تحريف للكلم عن مواضعه، لأنه صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى لم يدل عليه دليل لا من شرع ولا من لغة.

ومـع هذا كله فهذا التفسير لموت الأنبياء يفتح باباً لطوائف المبتدعة ممن يدعي الغيبة فى بعض من يعظمونهم. كما جاء في نظرية الرجعة المعروفة لدى الرافضة. إذا تبـين هذا فنقـلُ الإمـام ابن القيم[3]، لهذا التفسير لموت الأنبياء عن أبى عبدالله القـرطبى[4] عن شيخـه. لا يدل على المـوافقـة عليه، لأنـه جاء ضمن كلام سيق للاستشهاد به على حياة الأنبياء فى البرزخ رداً على من ينكر ذلك وما جاء تبعاً لا يلزم أن من أورده يكون مقراً له وموافقاً عليه، ولو قُدِّر أن الإمام ابن القيم هو الذي قال ذلك لما سُلِّم له. فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ومـع هذا فنحن نجـزم بأن الإمام ابن القيم وإن ورد هذا المعنى فيما نقله عن القرطبى فإنه لا يقره فقد أفاض فى الرد على من يقول: بأن حياة الأنبياء في قبورهم

(١) انظر الصارم المنكى فى الرد على السبكى للإمام الحافظ ابن عبدالهادى ص ٢٩٤.

(٢) سورة الزمر آية (٣٠).

(٣) كتاب الروح لابن القيم ص ٣٦.

(٤) التذكرة ص ٢٠٩.

هى الحياة التى كانت فى الدنيا، وذلك في قصيدته النونية «الكافية الشافية»[1].

هذا ومما تجدر الإشارة إليه إن كاتب هذا البحث عزىٰ النص المردود عليه لكتاب «حياة الأنبياء» للبيهقى مما يوهم أن هذا كلام البيهقى. والصواب أن الكلام ذكره السيوطي في كتابه «إنباه الأذكياء بحياة الأنبياء» كما أشار إلى ذلك المعلِّق على كتاب «حياة الأنبياء» للبيهقى ص ٤٢٣ الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩هـ .

التحرير

(١) ص : ١٣٠ - ١٣٥.